

فقه الواقع

تعريف فقه الواقع:

هو علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورفقها في الحاضر والمستقبل.

مقومات فقه الواقع:

أولاً: القناعة بأهميته :

لا يمكن أن يتخصص في هذا العلم من يتصور أن فقه الواقع مجرد مزيد من الثقافة، أو أن الأمة ليست بحاجة إليه. البوابة الرئيسية للولوج فيه: القناعة التامة بأهميته وضرورته، وأن تعلمه فرض كفاية، على طالب العلم أن يدرك أن من أسباب تخلف الأمة في عصرها الحاضر جهلها بواقعها، وغفلة بعض طلاب العلم عما يكيد الأعداء ويخططون له، فالمناققون وأسيادهم ينقضون الإسلام عروة عروة - ضمن تخطيط محكم رهيب- ونحن في غفلة من استبانة سبيل المجرمين، حتى استحمت العلمنة في كثير من بلاد المسلمين.

ثانياً: التأصيل الشرعي:

من الملحوظ في واقعنا أن أكثر المعنيين بفقه الواقع ممن لم يدرسوا العلوم الشرعية ولم يتخصصوا فيها، بل إن عباقرة العلم السياسي المعاصر -حسب ما تنشر وسائل الإعلام- من غير المسلمين، ولذا نلحظ في أحداث الخليج مثلا تسابق وسائل الإعلام إلى استطلاع رأي هؤلاء، وكأنهم الحجة وإليه المنتهى، وهذا سببه عزوف كثير من طلاب العلم عن التخصص في هذا الجانب، بل إن بعضهم لديه قناعة أن هذا الأمر لا يعنيه، حتى رأينا من طلاب العلم من يفسر الحديث المشهور " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " أي بأن يترك أمور السياسة وفقه الواقع لغيره.

ثالثاً: سعة الاطلاع وتجده:

يختلف هذا العلم عن كثير من العلوم، فهناك بعض الفنون يستطيع طالبها أن يتقنها في فترة محددة، ثم ينتقل إلى غيرها، بينما بعض أنواع العلوم يحتاج المتخصص إلى الاستمرار في متابعتها، وملاحقة الجديد فيها. فمثلاً: علم الفرائض علم مهم جداً، بل قيل إنه نصف العلم، ومع ذلك فيستطيع طالب العلم أن يتقنه في فترة محددة، ثم يبدأ في الإفادة منه وتطبيقه، وليس فيه مجال للتوسع إلا في مسائل فرعية، وكذلك علم النحو، فلم يترك المتقدم للمتأخر شيئاً، فما علينا إلا أن نتقن ما دونه أسلافنا، ولذلك باءت محاولات التجديد فيه بالفشل، وحق لها ذلك، أما علم فقه الواقع فيحتاج إلى شيئين مهمين:

أ- **سعة الاطلاع:** نظرا لتشعب هذا العلم وشموله، فيحتاج المتخصص فيه إلى كثير من الفنون، سواء العلوم الشرعية كالعقيدة والفقه، أو العلوم الاجتماعية كالتاريخ، أو العلوم المعاصرة كالسياسية والإعلام، وهلم جرا، وإذا قصر في أي علم من هذه العلوم أو غيرها مما يحتاج إليه، فسيعكس ذلك سلبا على قدرته على فقه الواقع، وتقويم الأحداث، والحكم عليها.

ب- **التجدد والاستمرار:** فهذا العلم يحتاج إلى قدرة فائقة على المتابعة، والبحث في كل جديد، فهو يختلف عن كثير من العلوم - كما بينت آنفا -، لذا يلزم المتخصص أن يكون لديه دأب لا يكل في متابعة الأحداث، ودراسة أحوال الأمم والشعوب.

رابعاً: القدرة على الربط والمقارنة والتحليل:

هناك عناصر أساسية للوصول إلى حقائق الواقع وتوقع المستقبل، وهي:

١. جمع الأخبار والمعلومات.
 ٢. المقارنة والربط بين الأحداث.
 ٣. تحليل المعلومات والوصول إلى نتائجها.
- أما الأول فمسألة آلية يستطيعها كثير من العامة.
وأما الثاني والثالث فتحتاج إلى عاملين أساسيين: (الأول: الموهبة، ثانياً: الاكتساب).

خامساً: التفاعل الإيجابي مع الواقع:

من أجل أن تفقه الواقع لا بد أن تعيش هذا الواقع، أن تكون عنصراً متأثراً ومؤثراً فيه، والذي يعيش على هامش الحياة لا يستطيع أن يدرك أبعاد هذا العالم وما يجري فيه، ولهذا فمن لوازم هذا العلم أن تتفاعل مع الأحداث تفاعلاً إيجابياً، تفرح لكل خير مفرح، وتحزن لمآسي المسلمين ومصائبهم، ولا تتوقف عند مجرد التأثير فرحاً أو حزناً، وإنما يجب أن تكون مؤثراً في هذا الواقع، أي عنصراً عاملاً متحركاً، متجاوباً مع الأحداث، حسب الحاجة والطاقة.

سادساً: حسن اختيار المصادر:

مشكلة فقه الواقع تباين مصادره، وتعارضها، فمصادر الفقه كتب الفقه وأصوله، ومصادر اللغة كتب اللغة، أما مصادر فقه الواقع:

١. القرآن الكريم وتفسيره:

هذا هو المصدر الأول والأساس، وبدونه يحدث الخلل وقصور النظر، فكتاب الله هو الهادي إلى كل خير، والمعين على فهم كل قضية، فلو أخذنا مثلاً قضية معاصرة، وأردنا تحليلها، والتأمل في حقيقتها ومآلها، فمن خلالها يتضح لنا الأمر.

٢. السنة النبوية:

هذا هو المصدر الثاني، فرسول الله -صلى الله عليه- وسلم لا ينطق عن الهوى " إن هو إلا وحي يوحى"، فلو أمعنا النظر في سيرته صلى الله عليه وسلم في السلم والحرب، ورسائله للملوك والقيصرة، واستقباله للوفود، وعقده للصالح والمعاهدات، لتجلت لنا الحقيقة التي لا مرأى فيها، بأنه صلى الله عليه وسلم أوتي الحكمة كاملة (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [سورة البقرة ٢٦٩].

٣. سير السلف:

إن دراسة سير السلف الصالح من القادة والعلماء والمصلحين، نبراسا يضيء الطريق، ويعين على فهم الواقع، ومواجهة الأزمات، والخروج من المحن، إن تجارب هؤلاء القدوة تراث ضخم، يعطي سعة في الأفق، وبعدا في الرؤية، وتصورا متزنا للمستقبل، وقدرة على تخطي الصعاب، بعون الله وتوفيقه، تأمل موقف أبي بكر رضي الله عنه من مانعي الزكاة، وأسلوبه مع المرتدين، وانظر إلى سيرة عمر رضي الله عنه وكيف قاد الأمة وساسها، ووقف سدا منيعا تجاه الفتن ومثيريها، وتبصر في قوله: "لست بالخب ولا الخب يخدعني"، وهكذا نجد في سيرة عثمان، وعلي، -رضي الله عنهم -، كما في سيرة عمر بن عبد العزيز، وهارون الرشيد -رحمهما الله تعالى.

٤. كتب العقيدة والفقهاء:

وهي المصدر لدراسة علوم الشريعة المستمد من الكتاب والسنة، وهي عماد المقوم الثاني من مقومات فقه الواقع، فمن خلال كتب العقيدة ندرك حدود الولاء والبراء، وأثر الأسباب المادية في الأحداث، ومدى مشروعية الأخذ بالأسباب، مما يعين على تفسير الأحداث، وفي كتب الفقه ندرك حقوق أهل الذمة، ومنطلقات الجهاد، وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك مما يعتبر دعامة أساسية في فهم الواقع، والحكم عليه، وشرعية التعامل معه.

٥. دراسة التاريخ وفقه السنن:

من لا يعرف الماضي لن يفقه الحاضر، ومن لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل، والله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالتأمل في أحوال من قبلنا، والسير في الأرض فقال سبحانه: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) [سورة الروم، ٩]، والمتخصص في فقه الواقع يجب أن يعنى بدراسة التاريخ، وأخص تاريخ أمتنا الإسلامية، فهو رصيد ضخم زاخر، فيه العبر والعظات، وقل أن يمر حدث معاصر إلا وله شبيه في الماضي، مما يعين على فهمه وتحليله.

٦. المصادر السياسية:

وأعني بها ما كتبه السياسيون المعاصرون والمتقدمون من كتب تتعلق بالجوانب السياسية، وهي على أنواع:

- أ- مذكرات السياسيين التي كتبها رجال قضوا سنوات طويلة في غمار السياسة ودهاليزها، ف سجلوا تاريخ حياتهم، و خلاصة تجاربهم.
- ب- الكتب التي تبحث في موضوعات سياسية كالعلاقات الدولية، و علاقة السياسة بالاقتصاد، و مهمات السفراء، و نحو ذلك.
- ت- الكتب التي تتحدث عن خفايا السياسة و أساليبها، و دور المنظمات الدولية، ككتاب لعبة الأمم، و الميكافيلية، و منظمة الأمم المتحدة، و عصبة الأمم، و مجلس الأمن.

٧. المصادر الإعلامية :

وهي من أهم المصادر المعاصرة، سواء أكانت مسموعة أو مقروءة أم مرئية، من أبرزها:

- أ- الصحف و المجلات و الدوريات.
- ب- نشرات و كالات الأنباء العالمية.
- ت- الإذاعات.
- ث- التلفزيون.
- ج- الأشرطة و الوثائق، إلى غير ذلك من الوسائل الإعلامية المعاصرة.